نظرية التشكيل الدلالي للكلمة في ضوء أوهاج السياق والإبلاغية والأسلوبية

عبد الله عنبر *

ملخـــص

يصدر هذا البحث عن فكرة مؤداها أنّ رصد العلاقة بين الأفكار التراثية والمقولات اللسانية يفرض وجهاً من التلاقي الحيوي الذي يسهم في فهم الرسالة اللغوية ضمن معايير الإبلاغية الجمالية، ويظهر البحث أن التفسير الأسلوبي يستند إلى دراسة آفاق التجاوز الذي يمتطي صهوة فضاء مفتوح الحدود، إنها قصة الانعتاق من عالم الحضور إلى عالم الغياب الغارق في الاحتجاب، والذي يبدو واضحاً أنّ قراءة الهيكل البنائي الذي يستوعب سيمياء الأداء يمثّل منهجاً للإحاطة بالمرجعيات التي يتموضع حولها النسق. وهكذا فإنّ دراسة الصيغ التي تتمظهر عبرها الدلالة يعني البيان عن فرادة التشكيل توخياً للمقاصد التي تقام عليها تحولات البنية في تكوثرها البلاغي الذي يبوح بالمعنى. ويسعى هذا البحث للبيان عن منظومة التحولات الجوهرية التي تكتنف البنية على المحورين الأفقي والعمودي استشرافاً للتحولات المكونة لطبقات الدلالة. ويكشف هذا البحث أنّ المعنى الاجتماعي يمثّل مرجعاً من مراجع الإحاطة بظروف المتكلم والسامع إذ يتقصى وجوه سياق الحال بحثاً عن تكامل منظومة العناصر التي أسهمت في تشكيل الإنجاز اللغوي.

وينتظم هذا البحث ضمن ستة أبعاد جاءت على النحو الآتي:

تناول البعد الأول الدلالة والأسلوبية وجاء الثاني بحثاً عن التفسير الأسلوبي للنموذج اللغوي وعرض الثالث مفهوم الدلالة وتشكيل الإبلاغية ويقارب الرابع الكلمة بين الإفراد والتركيب ويظهر الخامس الكلمة بين الصوت والمعنى ويتصدى السادس للدلالة وسياق الحال.

المقدمـــة

يحاول هذا البحث أنْ يقرأ الأفكار الدلالية والبلاغية القديمة بحثا عن التشكيل الدلالي للكلمة واستشرافاً لتجلياتها الإبلاغية في ضوء مناهج الدرس اللساني الحديث. فمن المقرر أنّ قراءة التراث قراءة متبصرة تجعلنا نفيد من منظومة الأنساق التي ينبني عليها لتشكيل فكر راسخ يجدد النظر في هذه المرجعيات عبر تضاريس الجدل المنهجي بين أوهاج التراث وتجليات الحداثة. وهنا نشير إلى أنّ رصد العلاقة بين الأفكار التراثية والمقولات اللسانية يفرض وجهاً من التلاقي الحيوي الذي يسهم في البيان عن تقصي الظاهرة اللغوية من وجوهها المختلفة اكتناها للمقاصد التي تبنى عليها.

وتأتي الدراسات اللسانية الحديثة كشفا عن المنطق الداخلي الذي تبني عليه الظواهر اللغوية، فاستثمار الاستراتيجيات الإبلاغية والدلالية والأسلوبية يبني منهجاً من التواصل الذي يسهم في فهم الرسالة اللغوية ضمن معايير الإبلاغية الجمالية. والملاحظ أنّ الأبحاث الدلالية والأسلوبية والإبلاغية تظهر قدرة على تفسير النموذج البنائي العميق وإعادة دمج المستويات توخياً لبناء خطاب دلالي يقرأ المقاصد التي تنتظم الأشكال الأسلوبية ليفصح عن طبقات تشكيلها، ويرمي هذا البحث إلى الإبانة عن منظومة القوانين العميقة للتحولات الجوهرية التي تكتنف البنية على المحورين الأفقي والعمودي، ويصدر عن فكرة مؤداها أنّ التوصل إلى جملة القوانين التي تنتظم تشكيل أبنية الكلم يؤلف استشرافاً لتفسير التحولات التي تعترض أنظمة البنية محاولة تكوين طبقات الدلالة فيها.

ويسعى هذا البحث إلى تبيان جملة العلاقات التي تكون الأبنية بغية اكتناه البنية الكبرى التي تصب فيها كل البنى عبر تموقعها حول مفتاح بنائي يعطي الكلمات دلالاتها الخاصة في تشكيل المقصد، وتمثل البنية الدلالية الكبرى الأفق الذي تنداح مجموعة الأبنية داخله مؤسسة على قانون من التعاقب البنائي المحتفظ برتبة المعنى الذي وضع الكلام له. وهكذا يجري البحث في طرق ترتيب المكونات لتصنيفها أسلوبياً وفق أشكال انتظامها وهيئات تصويرها، ويكشف هذا

* كلية الآداب، الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحث ٢٠٠٣/١/١٩، وتاريخ قبوله ٢٠٠٣/٧/٢.

البحث أنَّ استثمار النظرية الأسلوبية لتفسير الطرق التي تمارس بها الأبنية تأثيرها يكسب التحليل اللغوي استراتيجية في تنظيم المعايير التي يحتكم إليها، وهذا يسهم في بيان الأنساق التي تسري خلالها الكلمات في تكوينها لمجهول البيان بغية تعيين التحولات الأسلوبية ومقاصدها، ويرصد هذا البحث علاقة الثابت بالمتحول بحثاً عن طرق الانزياح الدلالي وتأثيرها البياني الذي يبوح بالمعنى.

ويتقصى هذا البحث طرق الإبلاغية في ترتيب العناصر وفق نظام خاص يهيئ المعنى الكلي لإحداث المستوى الانفعالي الذي يتسم بقوة التأثير، وهكذا تكشف المنهجية الإبلاغية سحر البيان الذي توفره فرادة التشكيل في تأدية المقصد ضمن قانون تضافر القرائن تحقيقاً للتأثير المطلوب تكوينه بلوغاً لأعلى طبقات البيان. وينتظم هذا البحث ضمن الأبعاد الآتية:

تناول البعد الأول الدلالة والأسلوبية وجاء الثاني بحثاً عن التفسير الأسلوبي للنموذج اللغوي، وعرض الثالث مفهوم الدلالة وتشكيل الإبلاغية، ويقارب الرابع الكلمة بين الإفراد والتركيب، ويظهر الخامس الكلمة بين الصوت والمعنى، ويتصدى السادس للدلالة وسياق الحال، وتتشكل هذه الأبعاد على النحو الآتي:

الأول: الدلالة والأسلوبيّة

تقع دراسة التشكيل الدلالي للكلمة في سياق بنية مركبة من العلاقات التي تبدأ من البنى اللغوية وينتظمها المعجم والصيغ وأنواع الجمل وطبقات النص، وتعرض لتباين الصيغ وعلاقة الدال بالمدلول والفروق النحوية وتأثيرها في تشكيل الدلالة، وتشكل نظرية المعنى إشكالية فرضت أوهاجها في منظومتي التراث والحداثة، وتتراتب هذه النظرية ضمن مظاهر التلازم الحاصل بين الدال والمدلول والمتصور الذهني الذي يعيد إليه، ويتعين رصد هذا المتصور الذهني عبر الإحالة المرجعية وإحكام العلاقة القائمة بين السياق والمنظومات المؤتلفة في تشكيل النظام اللغوي، إنَّ مبادئ الاقتران على وجه من التراسل أو الاختلاف والتضاد تؤلف ملاحظ تظهر العلاقات التي تنتسب إلى قواعد إنتاج المعرفة، فالأبنية إذ تحتل مواقعها في التشكيل اللغوي تكشف عن حركة المعنى المؤسس في سياق نحو النص، ويعرف الشريف الجرجاني الدلالة بقوله:" هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص وإشارة النص واقتضاء النص"[١].

ويكشف هذا النص مفهوم الدلالة ضمن تلازم يبين أثر الشكل في الدلالة على المعنى، وهكذا يتقصى تفسير النص عبر نظامه الإشاري في بعده السطحي والعميق وفق قراءة تكشف تحولات البنية وطرق تشكيلها، إنه السعي نحو التشكيل النفسي الناتج عن تنظيم العلاقات في نقطة دلالية خاصة تعبر عن المدلول الكلي.

ويعرف ستيفن اولمان المعنى بأنّه:"علاقة متبادلة بين اللفظ والمدلول، علاقة تمكن كل واحد منهما من استدعاء الآخر"[٢]. ويوافي هذا الملحظ أنَّ: "الدليل مكون من دال ومدلول، يشكل صعيد الدوال صعيد العبارة، ويشكل صعيد المدلول صعيد المحتوى"[٣]. ومن المعلوم أنَّ الفهم والإفهام هو أساس النظرية اللغوية؛ إذ ينظر إلى المسألة اللغوية في سياق المرسل والمتلقي والغرض المراد من الرسالة. ويشكل البيان عند الجاحظ منهجية عليا لتوصيل المعنى الدلالي عبر تعدد الأساليب وتنوعها. ويقرر الجاحظ معنى البيان بوصفه أداة لتوصيل المعنى والدلالة موضحا أنَّ: "البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يُفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك الدليل؛ لأنَّ مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع، إنمَّا هو الفهم والإفهام؛ فبأيَّ شيء بلغْتَ الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[٤]. ويكشف هذا النص أن العلامات اللغوية تأتلف ائتلافاً يسمح بنظام الاتصال بين المتكلمين، وتؤسس الأبنية على وجه مغلق تتسق فيه وفق نظام مداره الدلالة، وتمثل فكرة امتحان العلاقات التي تؤسس عليها الأحداث النصية مظهراً تواصلياً ينتظمه الفحوى الدلالي الذي تشير إليه جملة العناصر. وهذا يبدي: "ان وظيفة اللغة الأساسية والقارة عند الجاحظ هي الفهم والإفهام؛ إذ لا تقوم جملة الوظائف دونها ولا تعدو أن تكون تطويرا لها يؤدي إليه نوع المتكلم وجنس الكلام. فتصبح الخطابة مقاما من المقامات لا يختلف عن غيره إلا ببعض المقومات النوعية الخاصة التي تلائمه. فالجاحظ حريص على أن تؤدى هذه الوظيفة طبق شروط الفصاحة وقواعد الإبانة. وعن هذين العاملين الرئيسين: الوظيفة والإبانة نتجت المقومات الخاصة بكل طرف من أطراف العملية اللغوية ولا سيما المتكلم والكلام"[٥]. وتتعدد طرق إنتاج الدلالة عند السكاكي الذي يعرف البيان بقوله: "وأما علم البيان فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"[٦].

وهكذا يفصح السكاكي عن أهمية إيراد المعنى بأساليب مختلفة طلباً لمطابقة الكلام لمقتضى الحال المراد منه، إنّه البحث عن المقصد الذي ينبني عليه الكلام على وجه خاص يسمح بتحقيق الإبلاغية. ويرى تمام حسان:"أنّ كل دراسة لغوية لا بد أنْ تتجه إلى المعنى. فالمعنى هو الهدف المركزي الذي تصوب إليه سهام الدراسة من كل جانب على النحو المبيّن في الشكل الآتي:

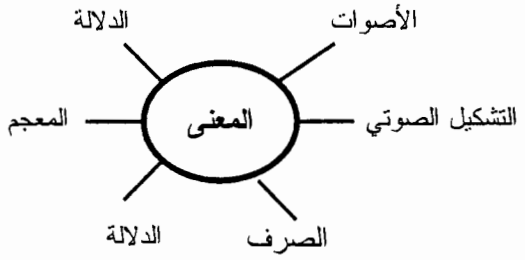

وهكذا يصبح المعنى مشققاً، ويستقل كل فرع من فروع الدراسات اللغوية بقسط من هذا المعنى يوضحه، ويبيّن عنه، ويعين على كشفه، بقطع النظر عما إذا كان هذا القسط مما يتصور فهمه مستقلاً عن الهيكل العام للمعنى المركب أم لا"[٧]، وهذا يبيّن أنّ هيكلة الوظائف التي ينبني عليها النص يعني اكتناه أشكال الدلالة في تمظهرها السطحي وتمثيلها الذهني. وهكذا تندرج البنى في إطار ينتمي إلى المرجعية التي يعيد إليها النسق.

ويوضح السكاكي وظيفة علم المعاني قائلاً: "علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"[٨]، وهذا يبيّن نشدان النسق الجمالي في الإبانة عن المعنى وتخطي مستوى الإفهام مما يظهر مطلباً إضافياً مفاده تقديم الفكرة بطريقة مؤثرة في النفس. إنّه الخطاب الذي يمتلك الجاذبية، والذي يبدو واضحا أنّ: "وجوه خصب الدراسة الدلالية تتجلى في اكتناه نوعي الكوامن المعنوية التي زودت بها اللغة الإنسانية، فهي اجتهاد لبناء مذهب دلالي واضح ومحدد، وإنْ لم يغب عنها السعي للتحرر من الدلالة، وربما يتضح التحديد في دلالة الكلمة المفردة، كلفظة شجرة، مثلا. لكن التحرر من التحديد يتجلى من السياق العام لعلائق الكلمات، وتولد الفكرة أو المقصود"[٩].

وتنبه السكاكي إلى أهمية المعرفة بدلالات الكلم، يقول:"إنّ صاحب علم البيان له فضل احتياج إلى التعرض لأنواع دلالات الكلم"[١٠]، ويؤكد الخطيب القزويني ما ذهب إليه السكاكي في فهمه لعلم المعاني بقوله:"وهو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي تطابق مقتضى الحال"[١١]، وهذا يظهر أن المرسل يتولى تشكيل المدرك الذهني ضمن التشكل البنائي والتحول من معاني النفس إلى صورة النص.

ومن هنا يتضح أنّ ما يجري في الذهن من معنى مراد يتراتب وفق الوظيفة الكلامية التي تصل الموقع بالمنجز الذي يقتضيه. وهكذا يكون الهدف من الرسالة اللغوية هو الفهم والتواصل الاجتماعي. فالهدف من منظومة المستويات اللغوية هو المضمون الذي تحمله، ويصنف علم الدلالة في أعلى طبقات جيولوجيا النص؛ إذْ يلاحظ أنّ:" علم الدلالة، أو دراسة المعنى فرع من فروع علم اللغة، وهو غاية الدراسات الصوتية، والفونولوجية، والنحوية، والقاموسية، إنّه قمة هذه الدراسات"[١٢]، وهذا يكشف أنّ الرمز اللغوي يستمد قدرته التأثيرية عبر تفاعل نظامي يحتكم إلى شبكة العلاقات التي ينبني عليها، وتقسم مناهج دراسة المعنى إلى منهجين:

١. **المنهج التاريخي**: الذي يبحث دلالة الألفاظ في لغة ما، في دراسة تطورية عبر مراحل التاريخ، ترصد التغيرات الدلالية وأسبابها، وهي الدراسة التي يطلق عليها (Diachronic).
٢. **المنهج الوصفي**: ويقوم على دراسة معاني الألفاظ في لغة ما في مرحلة زمانية معينة وبقعة مكانية محددة ويطلق عليها (Synchronic)[١٣].

وبيّن تمام حسان هذين المنهجين بقوله:"وعلم الدلالة التاريخي يدرس تغيّر المعنى من عصر إلى عصر، وانّ علم الدلالة الوصفي يدرس المعنى في مرحلة معينة من مراحل تاريخ اللغة؛ فالأول ديا كروني – على حد تعبير دي سوسير – والثاني سينكروني، أي انّ الأول يدور حول التغيرات المعنوية، والثاني حول العلاقات المعنوية. وهذا يعني أن الأول يدور حول المعنى المتغير، والثاني حول المعنى الثابت"[١٤]، وهكذا يتضح أنّ رصد جملة العناصر التي تتضافر في إنتاج دلالة البنى يفضي إلى القبض على المنظومات المؤلفة لنصوصية النص، فشكل التركيب تفرضه وجوه الاختيار للوحدات الدالة ضمن سياق يعيّن شروط الترابط النصي موظفاً قيم الإيحاء والدلالة.

وتنماز الدلالة وفق العالم الداخلي للانفعالات الإبلاغية التي تتضمنها الأبنية في تعبيرها عن المقصد. ويلاحظ أنّ مستويات الإبلاغية تنداح في منظومات خاصة مركزها بؤرة

التواصل المكونة لمرجعيات الدلالة، ويعيّن السياق السمات الدلالية ويظهر تأثير الأبنية عبر نظام يميز الحقول التي تنتمي إليها التراكيب، ويكشف الدرس الدلالي أثر المستوى النحوي في دراسة أحوال الكلمة وتنوعها بطريقة تغني مستويات الدلالة وفق توزيع للرموز في نظم خاص بها.

ويبدو أنَّ البحث عن سيرورة إنتاج الدلالة يتم باستقراء الأبنية كشفاً عن طرق تشكيل المرجعيات المسؤولة عن إنتاج الدلالة، وتحاول هذه الدراسة ارتياد أفق ينحو منحى دراسة علاقة الدال بالمدلول وفق تأويل يتقصى طبقات النص موضحاً المضمر في مجهول البيان، ويمتلك كل تركيب مجموعة سمات خاصة تكسبه المعاني التي يرتبها نظامه الإشاري ضمن استراتيجيات تنهض مكونة عالم الصياغة فيه، وتنطوي البنى اللغوية على مستويات الدلالة ضمن تشكيلها الصيغي الذي يسهم في الإبانة عن الإمكانات الإيحائية عبر طرق البناء، وتمثل دلالة الأبنية معياراً دلالياً تفصح عنه التبدلات الشكلية عبر تحولاتها السياقية. والملاحظ أنَّ تعيين مرجعيات الدلالة يستند إلى قرائن التعليق في سياق ينزع إلى التماسك النصي، وهكذا فإنَّ المضمون الدلالي يشير إلى مرجعيات صيغ الدلالة في الإبانة عن المقصد بطريقة تؤثر على المتلقي.

ويمثل التكثيف ملحظاً يتمتع بقيمة عليا في تشكيل الإبلاغية إذ يؤسس على مدونات مدارها تقصي وجوه البيان، والذي يبدو واضحاً أنَّ قراءة الهيكل البنائي الذي يستوعب سيمياء الأداء النصي يمثل منهجاً للإحاطة بالمرجعيات التي يتموضع حولها النسق، ويشكل تحليل هذه السيمياء بحثاً عن التعدد المختلف عبر التنوع المؤتلف في بيان المحددات المنهجية التي تتطلب الاختيار والتركيب والانبناء على نحو خاص دون آخر، ومن المقرر أنَّ مسألة الإبانة عن الحقول الدلالية والكشف عن طريقة تشكيل الأداء وفق أساليب خاصة تدخلنا في سياق البحث عن منهج يؤسس للانفتاح على الإنتاج الدلالي المستوعب لنصوصية النص والراصد لتحولات النسق. وهنا نشير إلى أنَّ دراسة طرق تماسك البنى بحثا عن طرق تشكيلها تقتضي البيان عن الوظائف المؤلفة للأدوار الأسلوبية وصولاً للدلالة الكلية التي ينبني عليها النص، وهكذا يفصح البيان عن النسق الدلالي موضحاً أهمية تتبع طرق الانحراف التي تتموضع في المتخيل الذهني.

الثاني: التفسير الأسلوبي للنموذج اللغويّ

يؤسس هذا التفسير على فكرة مفادها دراسة البنى اللفظية عبر انحرافها عن المستوى المألوف، وهكذا تتولى هذه الدراسة البحث عن التحولات البنائية التي تحتكم إليها الظاهرة اللغوية تقصياً للمقاصد التي تقام عليها التراكيب. وهكذا فإنَّ الأسلوبيّة:"علم لغوي حديث يبحث في الوسائل اللغوية التي تكسب الخطاب العادي، أو الأدبي خصائصه التعبيرية والشعرية فتميزه من غيره... إنها تتعدى الظاهرة الأسلوبية بالمنهجية التعلمية، اللغوية، وتعد الأسلوب ظاهرة، هي في الأساس لغوية، تدرسها في نصوصها وسياقاتها"[١٥]. وتعرف الأسلوبيّة بأنّها: "علم لساني يعنى بدراسة مجال التصرف في حدود القواعد البنيوية لانتظام جهاز اللغة"[١٦]، فمن الواضح أنَّ التمايز عن مبدأ العرف الدلالي يفضي إلى بناء عالم من المغايرة المؤسسة على مجهول البيان، فالأسلوبية تشكيل للمختلف على دينامية توقظ الاقتران الذي يقتحم أنظمة المؤتلف. إنَّ فكرة الإقصاء التي يمارسها العنصر تعطي الإبلاغية أقصى تجلياتها في التعبير عن المراد، وقد ذهب سمير أبو حمدان إلى أنَّ: "الإبلاغية (جوهر البلاغة العربية) تعدّ اللغة الأدبية مسرحها ومربط خيلها، وأن الانفعال الكامن في بعض الصيغ والعبارات والاشتقاقات لهو المنهل الأساس الذي تنهل منه فهي تستند إلى الصيغ التي تجنح إلى المبالغة والانفعال لا لشيء إلا لأنها قررت أن تحفر في دخائلنا ندوباً لا تمحى، فمطلبها الأساس أنْ تقتحم النفوس بما تمتلك من عدة نفسية، والهدف إحداث الخفة المرجوة والمطلوبة[١٧]، ويبدو أنَّ رصد مفارقة التركيب لبنية الأصل يمثل اختلافاً أسلوبياً يستند إلى التحول الدلالي الذي تقوده قوى تشكيل النص نحو إنجاز يفرض مستوى جمالياً، ومن هنا يتضح أنه: "لا بد أن نتحرى في الصياغة ما فيها من منبهات تعبيرية، لها طبيعة جمالية من ناحية، ولها طبيعة استمرارية من ناحية ثانية. ولا بد أن نتحرك وراء التكراريات التي تأخذ شكل ظاهرة أسلوبية في بعض ألوان الأداء، مما يكسب المضمون حيوية تؤثر في الشكل اللغوي، فتصبح عملية الأخذ والعطاء بينهما قطب النظام الجمالي للكلام"[١٨].

وهكذا تدرس أوجه تصريف الأبنية للإحاطة بطرق تخطيها ملحظ التوصيل نحو الوظائف الجمالية. فتبدل طرق الأداء اللغوي يقترن في توليد أشكال تؤسس وفق أسرار مدارها مقاصد المتكلم؛ إذ يرتب المتصور الذهني وفق تشكيل وظيفي يتوخى الإبلاغية العليا، ومن الملاحظ: "ان لكل خطاب بنية كلية ترتبط بها أجزاء الخطاب، وان القارئ يصل إلى هذه البنية الكلية عبر عمليات متنوعة تشترك كلها في سمة الاختزال. ويبدو أن هذه البنية الكلية ليست شيئا معطى، وإن كانت هناك بينات متنوعة أو مؤثرات على وجود هذه

البنية، وإنما هي مفهوم مجرد (حدسي) به تتجلى كلية الخطاب ووحدته"[١٩].

ومن هنا يتضح أنّ تحول البنى الأسلوبيّة يكشف سلطة العدول الدلالي نحو تعدد الوظائف التي تؤديها الأبنية في بلوغها وجوه الجمال الأسلوبي. وهكذا تنتظم اللغة في مطلبين: يأتلف أحدهما على مستوى التوصيل ويتحصل الثاني على نحو جمالي يتعدى الأول، وقد أشار ستيفن أولمان إلى هذين المطلبين موضحاً أنّ: "اللغة يمكن أنْ تؤدي وظيفتين رئيستين، قد تكون أداة للتعبير عن الحقائق والقضايا الموضوعية، وفي هذه الحالة يكون هدفها توصيل الأفكار ونقلها ولكنها أيضاً قد تكون ذات وظيفة عاطفية وديناميةبصفة أساسية، أي انّ وظيفتها حينئذ هي التعبير عن العواطف والانفعالات وإثارة المشاعر والتأثير في السلوك الإنساني"[٢٠].

ويوافي هذا المنحى ما يقرره عبد الحكيم راضي في بيانه أن اللغة تنتظم ضمن مستويين: "أحدهما يمكن أن نطلق عليه المستوى العادي، أو المستوى النمطي. والآخر يمكن أن نسميه المستوى الفني أو اللغة الفنية. فاللغة العادية متعارف عليها من الجميع، مباحة لهم، لا يتفاضلون في العلم بها أو استخدامها، أما اللغة الفنية فهي نتاج الفرد المبدع، وهي لذلك شخصية تصدر عن عبقرية البليغ، وتتحدى ما هو نمط "اصطلاحي""[٢١].

وهكذا يستند التفسير الأسلوبي إلى دراسة تحرر الرموز من قيود التموضع المعجمي والرحيل إلى عالم خاص، وتستقي الألفاظ حيوية مجازها من التحول والانحراف ضمن آفاق التجاوز الذي يمتطي صهوة فضاء مفتوح الحدود. إنّها قصة الانعتاق من المسمى وتوديع الحضور إلى عالم من الغياب الغارق في مجهول البيان. وهكذا: "تتجلى مهمة الأسلوبية في معرفتها لمختلف أدوات التعبير، وصفها، وتحديدها، وتصنيفها، وفي معرفتها لمختلف نماذج الملفوظات، كما تتجلى في إقامتها نموذجا للأساليب"[٢٢]، ومن هذا المنطلق يصدر التحليل الأسلوبي عن مستوى تطبيقي يرمي إلى جدولة أساليب التعبير والبيان عن المستويات الدلالية التي تستبطنها بحثا عن المستوى التعبيري. أما الأسلوبيّة الجديدة: "فإنّها على الجملة لا تكتفي بتعيين ما هنالك من خصوصيات للكلام ولا تقتصر على تعميم الأحكام، بل تبحث عن العلل وتقيم من التحليل الذري الذي تعتمده البلاغة مبدأً موحداً جامعاً لها ثم تجريها على غاية استاطيقية عامة تداخل العمل الأدبي كله وتجلي روح الإنسان فيه"[٢٣]. وهكذا تجعلنا الأسلوبية نتخطى المظاهر السطحية نحو تعيين المرجعيات العميقة التي يحتكم إليها المركب البنائي؛ إذ تتولى هذه المنهجية تشخيص المستوى النظامي الذي تحتكم إليه عناصر المنجز اللغوي بحثا عن التحولات الدلالية في تشكيلها البياني، ويظهر البحث عن طرق التشكيل أهمية بيان المواقع المعجمية والمضمون الدلالي الذي تكتسبه ضمن التعالق النصي، ويرى محمد بركات أبو علي: "أن تنوع نظرية المعنى في البلاغة العربية يؤدي إلى اختلاف الأساليب، والتراكيب والصور والأخيلة من متفنن إلى آخر، وهذا يدور في محيط المعاني التي تكون مرتبة في النفس، ثم تخرج منسجمة مع التراكيب التي تعبر عنها، حقيقة أو مجازاً"[٢٤]، ويمثل المتصور الذهني الناتج عن دينامية المراجع الدلالية ائتلاف الوظائف ضمن فحوى دلالي واحد، ومن المقرر أنّ الدراسة الأسلوبيّة تعني: "التحول للدرس اللغوي بالدرجة الأولى، والنظر في مستوييه الأساسيْن: المستوى المألوف والمستوى الإبداعي، ثم التحرك السريع من الأول إلى الثاني؛ إذ هو مدار العمل بالنسبة للأسلوبيين، حيث تجري فيه متابعة خطوط الصياغة وتحولاتها التي تتم عن وعي وقصد لتصنع بناء إبداعياً، ويكون حضور المستوى المألوف حضوراً هامشيّاً لضبط عملية القياس الكمي والكيفي، وتحديد درجة ارتفاعها وانخفاضها، وليس معنى هذا إقامة عازل صُلْب بين المستويين وإنّما معناه استحضار كل منهما في المجال الذي يتهيأ لهما، والاتكاء على أحدهما دون الآخر، طبقاً لمتطلبات الموقف اللغوي"[٢٥].

وهذا يكشف أنّ الأسلوبية تتقصى وجوه الانتهاك للعرف اللغوي باحثة عمّا يغاير المعهود فيما يعبر عنه بأبنية الأصل، ويمثل هذا المستوى من الدرس استثماراً لغوياً لتحولات الأبنية عن الأصل وفق توتر يكسر علاقات الأبنية ويصنع التوتر عبر علاقات لم تعهد من قبل، وتسهم الأسلوبية في اكتناه ملاحظ كسر التوقع وتوظيف التنوع في تشكيل المنجز توخياً للمعنى المراد، ويستند النظام الكلي على سيادة عناصر تهيمن على سيرورة التشكيل النصي بما يجعل هذه العناصر تملك سلطة التحكم بدلالات النسق، ويمارس الترتيب تأثيره في طبقات البنى بطريقة دائمة التحول استجابة للنحو الجمالي المؤسس لشعرية النص.

وعلى هذا يمكن القول إنّ اكتناه العلاقة القائمة على تحولات البنية يكشف مناطق الضوء التي تسيطر على مفاصل النسيج النصي التي تنتظمها تفاعلات النظم الكلي. فالعلاقة الداخلية لحركة الأبنية تجسد توقاً إلى عالم لغوي تنتظمه التغيرات في وحدة ساعية للتوثب عبر مناطق الخفاء المفضي إلى التجلي في البيان عن المقصد، وهكذا يؤسس

النظام الداخلي للبنى على تكامل تتحرك فيه لعبة الدلالات بما يكسبها إيقاع الحضور والغياب المؤلف للرؤية المجسدة لتحولات المعنى، وهكذا تدرس المنظومة اللغوية دراسة تظهر الدينامية التي تحتكم إليها الوظائف في أقصى تجلياتها البنائية، وبهذا يمثل الكشف عن انحراف الأبنية عن قواعد الأصل بحثا عن المستويات الضمنية التي أسهمت في إعادة تشكيل الرتبة توخياً للتكثيف المكوثر للإبلاغية والبيان.

الثالث: مفهوم الدلالة وتشكيل الإبلاغية

إنَّ مستويات الدلالة تتنوع في إطار فكري يمثل فحوى الإنجاز اللغوي الذي ترتد إليه المنظومة اللغوية، وهكذا فإنَّ اكتناه المستوى الدلالي يرتاد أفق المضمر الذي ينعقد عليه المقصد الذي يريد المتكلم إيصاله، ويلاحظ أنَّ البيان عن مستويات الدلالة يعني إنتاج الوجهة المعرفية التي تحتكم إليها عناصر النص، وتمثل اللغة الجامع المشترك الذي تتشكل من خلاله الدلالة، وتفصح قراءة أنظمة العلاقات عن قوى المجال الحيوي الذي يوحد عناصر المقصد في سياق من التقبليّة.

ويقرر تمام حسان أنَّ:"من الممكن تحديد البلاغة بأنها عمل المتكلم على إيصال الشفرة إلى السامع بواسطة رسالة منظومة خلال قناة اتصال مسموعة في مقام معين، وربما أضفنا جهد السامع في حل الشفرة"[٢٦]. ويتجلى هذا المنحى في فهم البلاغة عند أبي هلال العسكري الذي يقرر أنَّ:"البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع، فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"[٢٧].

وهذا يظهر المطلب الجمالي في البيان البلاغي الذي يرتقي مرقاة البلاغة العليا لإيصال المدلول على الوجه الذي يريد المتكلم إيصاله إلى السامع. وهنا تجتاز البلاغة ملحظ التوصيل نحو ارتفاع درجة الإعلامية ارتفاعاً يسمح بتشكيل الكلمة المؤثرة في نفس السامع.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنَّ جملة الانحرافات تمارس تحويلاً يصل تمظهرات الشكل بمستويات الدلالة، وعلى هذا فإنَّ دراسة الصيغ التي تتمظهر عبرها الدلالة تعني البيان عن فرادة التشكيل، ويأتلف النظام اللغوي في شبكة علاقات تتفاعل منظمة الخبرات في جامع نصي خاص، وتؤلف الدلالة مثيراً يرجع إلى تصور ذهني مداره التشكيل اللفظي المنتظم ضمن طبقات متفاوتة في البيان عن الإبلاغية، ويستند تعيين طرق البيان إلى مرجعية تنماز بتحقيق المقصد تحقيقاً يكون له القدرة على التأثير في المتلقي، والملاحظ أن الصياغة تشكل النسق الذي يتخذ أساساً في البيان الرمزي عن التصور المراد. فوظيفة التعبير ناتجة عن التأويل الذي يتركه النموذج اللغوي في تشكيله للمرموز الذهني عبر تحولات النسق.

الرابع: تشكيل الكلمة بين الإفراد والتركيب

تأخذ الكلمات ترتيبها السطحي مكونة حركة تشكيلها البنائي محكومة بقوانين النظم المؤلف للمعنى المراد، وتحتكم إلى قوانين التعليق على المستويين الأفقي والعمودي لبناء الإيحاء المعتمد على التكوين الصوري المنتج لقوى الدلالة. وهكذا يتم رصد مجموعة الوظائف المنظمة لآفاق الدلالة الكلية برصد جملة مكونات المنجز للإبانة عن علاقة مستوى الحضور بجدل الغياب المكون لاتساق النص. وتشكل الكلمات أبنية منتظمة تتخذ لها مركزاً يرسم نسيجها وفق شبكة علاقات تقام على المشاكلة والاختلاف مظهرة المقصد. إنَّ الهيمنة التي تفرضها عناصر النظام اللغوي في تشاكلها تسفر عن وظائف البنية المنتجة لعالم المعنى، وأبان الجاحظ عن أهمية اختيار الألفاظ في تشكيل المستوى الجمالي وتحقيق القيم التعبيريّة كما يوافق الغرض المراد: "وإنّما الشأن في إقامة الوزن وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج، وفي صحة الطبع، وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير"[٢٨].

وقد أوضح الجاحظ أنَّ اختيار الكلمة يشكل المدار الذي ينطوي على الإمكانات التعبيرية الناتجة عن مطابقة الألفاظ لمعانيها وفق السياق الذي يراد لها:"وكما لا ينبغي أنْ يكون اللفظ عامياً، وساقطاً سوقيا، وكذلك لا ينبغي أن يكون غريباً وحشياً"[٢٩].

وهذا يكشف أنَّ كل لفظة تناسب المقام الذي تقال فيه توخياً للاختيار الأسلوبي الذي يضع الكلمة في مكانها اللائق بها، ومن هنا: "نستطيع أنْ نقول مع الجاحظ إنَّ دلالة الكلمة تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه، أي ان معناها يتحدد بورودها ضمن غيرها من الكلمات، وهكذا فإن مدلولها المعجمي المرتبط بأصلها وحقيقتها يتضاءل أمام مدلولاتها الناشئة عن هذه الحقيقة وذلك الأصل"[٣٠]. وبيان ذلك عند الجاحظ:"ويقال فلان أحمق، فإذا قالوا: مائق، فليس يريدون ذلك المعنى بعينه، ... وهذا المأخذ يجري في الطبقات كلها: من جود وبخل وصلاح وفساد، ونقصان ورجحان"[٣١]، وهكذا تنطوي الكلمات على أدلة ينتظمها مرجع يعيدها إلى حقل دلالي يكون قاراً في داخلها، فهي تلازم تمثيلاً مرجعياً تصدر عنه في تبليغها المقصد. وبهذا تصاغ المقاصد من خلال بناء المقصود الذهني في شكل يقوده الملفوظ الإشاري المتجسد بالإنجاز.

وعقد ابن جني (٣٩٢هـ) فصلاً بعنوان: (باب في الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية)، وأظهر في هذا الفصل أنَّ هذه الدلالات تنطوي في ثلاث مراتب من حيث القوة والضعف وبيان ذلك عنده: "انَّ كل واحد من هذه الدلائل معتد مراعى مؤثر، إلاّ أنها في القوة والضعف على ثلاث مراتب: فأقواهن الدلالة اللفظية ثم تليها الصناعية، ثم تليها المعنوية. ولنذكر من ذلك ما يصح به الغرض. فمنه جميع الأفعال، ففي كل واحد منها الأدلة الثلاثة، ألا ترى إلى قام، ودلالة لفظه على مصدره، ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله، فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه"[٣٢]. وهكذا يكشف أثر كل دلالة في تشكيل المعنى فهي تتلاقى لأداء المعنى، وقد تبيّن ملحظ التمايز في مستوياتها وفق وظائفها التي تأتي توخياً لأداء المقصد. وجاء هذا التمايز استجابة للعلاقة التي تنتظمها الأبنية في تشكيلها استجابة للصوت والدلالة تحقيقاً للمعنى المراد.

وهكذا يتضح أنَّ درجات توزيع الدلالة تتباين وفق التكثيف الذي يتواصل جمالياً طبقاً لمعايير المشاكلة والاختلاف. فالرصيد الدلالي الذي تستبطنه الألفاظ يصب في ترتيب يشكل عناصرها لتجسد فضاء حيوياً متحولاً يختصر المشهد الدلالي منظماً أبنية اللغة على نسق خاص.

وبهذا يتم التنظيم الداخلي للأبنية في تفاعل ينتج الدلالة من خلال التشاكلات الصوتية المؤدية للمقصد، وتأتلف مجموعة الطرق المؤلفة للمعنى على هيئة أشكال ذات منطلقات بنائية متعالية تؤسس فضاء التفاعل على رمزية قوامها تراسل العلاقات في تكوين المقصد، ويلاحظ أنَّ اكتناه وظائف البنى بحثاً عن المرتكز الداخلي الذي تنبني عليه يؤلف مطلباً يرصد العلاقات كشفاً عن الفرادة التعبيريّة المنتجة لجمالية الإبداع، إنَّ البحث عن اتساق الظاهرة اللغوية يتصل باكتناه ملاحظ التماسك النصي وبيان الفجوات المعرفية لاكتشاف النظام الذي يحكم مجموعة المكونات ويفصح عن الوظيفة الكلية لها، وقد بيّن يوسف أبو العدوس أنَّ: "الكلمات في المجال الدلالي يرتبط بعضها ببعض بواسطة مسافات تباين وتوتر، وبما أنَّ جميع كلمات اللغة تعيش في هذا المجال، فإنَّ عدد الارتباطات التي تحتاجها الكلمات لا يمكن أن تحصى؛ إذ إنَّ كل ارتباط بين كلمة وكلمة ينتج مسافة تباين وتوتر معينة، وعدد المعاني المسيطر عليها من الكلمة يحدد بواسطة عدد مسافات التباين والتوتر"[٣٣].

وتنبه الخطابي (٣٩٨هـ) إلى أنَّ بلاغة الكلم تقتضي وضع الكلمة في مكانها المناسب موافقة للمعنى الذي يراد منها فأظهر:"انَّ عمود هذه البلاغة هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إنْ أُبدل مكانه غيره جاء منه إما تبدل المعنى الذي يكون فيه فساد الكلام وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة"[٣٤].

وهذا يوضح أنَّ الفضاءات التي تحملها الكلمات تتباين في مجهول بيانها وإنتاجها الدلالي ضمن التشكيل الذي تتمظهر فيه. وهكذا: "يمثل الاختيار والنظم تقاطعاً بين محورين زمنيين تنطلق منهما عملية تأليف النص: التزامن على محور الاختيار أو الاستبدال، والتعاقب على محور النظم أو التنسيق، فخلال لحظة الإبداع الشعري يوفر المخزون اللغوي للشاعر طائفة من إمكانات التنسيق ترتسم في ذهنه على المحور التزامني الرأسي والألفاظ التي يختارها تـأتلف فيما بينها وتنتج على محور النظم، وبهذا تنتقل كل لفظة من دلالتها المعجمية الذاتية إلى دلالة جديدة يحددها ائتلافها مع الألفاظ ضمن السياق الجديد"[٣٥]. وتمارس الألفاظ عبر تشكيلها فرضاً معرفياً يوزعها في مظهر من التلازم السياقي مداره تجليات النسق. وبهذا يتضح أنَّ التمايز البنائي يسهم في تشكيل مرجعيات تحقق وجوه المفارقة على محاور النحو الجمالي.

ويلفت الخطابي الانتباه إلى أنَّ اللفظين يتقاربان في الدلالة إلى درجة يظن معها أنَّ أحدهما يسد مسد الآخر، ولكنَّ التمايز الدلالي يظهر أنَّ أحدهما أولى بالموضع من الآخر:"ذلك انَّ في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنّها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر، والبخل والشح، والنعت والصفة، وكقولك: اقعد واجلس، وبلى ونعم والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء أهل اللغة بخلاف ذلك، لأنَّ لكل لفظة منها خاصة تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها"[٣٦]. وهذا يبيّن أنّ اختيار الألفاظ يقتضي مراعاة أسس التمايز لإحكام تكوثر البيان وفق قواعد التواصل الجمالي في تشكيل الخطاب.

وتنبه الباقلاني إلى أهمية التمايز الدلالي وترتيب عناصر النص في طبقات تحقق البيان المؤثر في نفس المتلقي، وبيان ذلك فصاحة كلمات القرآن: "فكل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية، وفي الدلالة آية، فكيف إذا قارنتها أخواتها، وضامتها ذواتها مما تجري في الحسن مجراها، وتأخذ في معناها"[٣٧].

ونادى ابن سنان الخفاجي بفكرة تأليف اللفظة على وجه خاص يحقق الملامح الصوتية في توزيع يناسب المقصد المراد وذلك:"أنْ تجد لتأليف اللفظة في السمع حُسناً ومزيّة على غيرها وإنْ تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة،

كما انك تجد لبعض النغم والألوان حسناً يتصور في النفس ويدرك بالبصر والسمع دون غيره مما هو من جنسه، كل ذلك لوجه يقع التأليف عليه"[٣٨].

وقد تبصر الجرجاني بتجليات الاختيار اللفظي لاكتناه العلاقات الدلالية والمستوى الذي يرتد إليه النسق، ويظهر هذا المنحى بقوله:"وأما رجوع الاستحسان إلى اللفظ من غير شرك من المعنى فيه، وكونه من أسبابه ودواعيه، فلا يكاد يعد نمطاً واحداً، وهو أنْ تكون اللفظة مما يتعارفه الناس في استعمالهم، ويتداولونه في زمانهم، ولا يكون وحشياً غريباً أو عامياً سخيفاً"[٣٩].

وانتفع الجرجاني بالأنظار النقدية السابقة عليه، فتبين أنَّ وصف اللفظ بالفصاحة أو افتقاره إليها من المعايير الثابتة التي رجع إليها النقاد في بيان المفاضلة بين الألفاظ، ويفضي هذا المؤدى إلى توخي الجودة في اختيار مفردات اللغة موافقة للطاقة التعبيرية التي يفرضها حسن الاختيار توخياً للمقصد، فهو يشير إلى لفظ ينطق بالدلالة الإيحائية وآخر يموج بالأعجمية، وهكذا تسنى له اكتناه منازل الألفاظ تشخيصاً لتباين مراتبها، ومفاد هذا المعنى عنده أنهم: "لم يعلموا أنَّ المعنى في وصف الألفاظ المفردة بالفصاحة انّها في اللغة أثبت، وفي استعمال الفصحاء أكثر، أو انّها أجرى على مقاييس اللغة والقوانين التي وضعوها، وانَّ الذي هو معنى الفصاحة بدلالة قولهم فصيح وأعجم"[٤٠]. وبذلك يتضح أنَّ الجمال البلاغي للألفاظ يتجلى من النظر إليها على أنّها رموز تمور بدلالات الصور المنتظمة على هيئة تشكيل داخلي يضمن للكلمة تأثيرها الذاتي ويكسبها الحيوية.

الخامس: الكلمة بين الصوت والمعنى

اعتنى الخليل بن أحمد الفراهيدي، برصد العلاقة بين المستوى الصوتي الذي تبنى عليه اللفظة والمعنى الذي تؤديه فجاء في كتاب العين: (صَرّ الجندب صريراً، وصرصر الأخطب صرصرة، وصرّ الباب يصرّ وكل صوت شبه ذلك فهو صرير إذا امتدّ. فإذا كان فيه تخفيف وترجيح في إعادة ضوعف، كقولك: صرصر الأخطب صرصرة)[٤١].

وهذا يكشف ملحظ التمايز الدلالي الذي تؤديه الأصوات وفق ما تبنى له من المعنى فالاختيار الصوتي يحقق مطلب الانسجام الدلالي الناتج من نظم الأصوات على سمت خاص، ويوافي هذا المنحى ما يقرره سيبويه من التناسب بين البنية والمعنى الذي تؤديه، إذ يقرر أنّ:"العرب مما يبنون الأشياء إذا تقاربت على بناء واحد. ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك: النَّزوان، والنَّقزان؛ وإنمّا هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع، ومثل هذا الغليان؛ لأنه زعزعة وتحرّك"[٤٢].

ويلتفت ابن جني إلى التناسب الدلالي الناتج عن الاقتران الصوتي المؤسس على نظام ائتلافي يعطي البنية الدلالة التي تناسبها، ويبدي أثر الانسجام الصوتي ملحظ الاتساق الذي يقيم الأبنية الصوتية على وجه خاص يكفل توزيعها الدلالي. وظهرت هذه الفكرة عنده بقوله: "ذلك انهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيبها، وتقديم ما يضاهي أول الحدث، وتأخير ما يضاهي آخره، وتوسيط ما يضاهي أوسطه، سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود، والغرض المطلوب"[٤٣]. وهذا يعني أنّ المعنى يتوقف على ترتيب الأصوات وتوزيعها بطريقة مناسبة، فإنَّ الصوت إذا وقع موقعه الأخص به كان منتظماً وفق المعنى الذي أريد له.

ويمدّ ابن جني في أفق هذه الأنظار في (باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني) إذ يقول: "أما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك انهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذون عليها، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره"[٤٤].

ويقدم ابن جني أمثلة من الاستعمال اللغوي تظهر المناسبة بين أصوات الحروف والأحداث المعبرة عنها فينظر إلى:"قولهم شدّ الحبل ونحوه، فالشين بما فيها من التفشي تشبّه بصوت أوّل انجذاب الحبل قبل استحكام العَقْد، ثم يليه إحكام الشدّ والجذب، وتأريب العقد، فيعبر عنه بالدال التي هي أقوى من الشين لا سيّما وهي مدغمة، فهو أقوى لصنعتها وأدّل على المعنى الذي أريد بها"[٤٥].

والذي يبدو واضحاً أنَّ ابن جني يبدي رغبة في إحكام عناصر البنية وإعلاء قيمة النص الذي يضع كل صوت في مكانه المناسب، وأنَّ أي تغير في مستوى الأبنية الصوتية ترافقه قيم دلالية، فاختيار المكونات اللغوية وفق نظام يقيم العلاقة بين الأجزاء ويعطي الكلمات قوة في الدلالة على المراد منها.

ومن الملاحظ أن التراث اللغوي العربي: "قد استوعب آفاقا فسيحة من الآراء التي تعنى بدلالة الحروف وأثرها على المستقبل، بل إنها في الشعر تتعدى ذلك إلى المغزى الجمالي الكامن في الكلمة، ومن ثم في السياق المعنوي للخطاب، وهكذا فإن الكلمات ذات الجرس الموسيقي التي تتضمن عنصر إيهام ذاتي بسبب جمالية الحروف وشكل تكوينها ينتظمها فعل مهم في التأثير وصنع المتعة وتوصيل الدلالة

إلى المتلقي. فموسيقى اللفظ وجرس الكلمات ليست قيمة خارجية للكلام؛ لأنها لو اقتصرت على قيمتها الخارجية لما كانت ظاهرة أسلوبية"(٤٦).

وتظهر تجليات الاختيار في تشكيل الشعرية إذ:"ينتقي الشاعر من الألفاظ ويتخير، ويفاضل بينها، ويميز بعضها من بعض، متخذاً في نظم البيت من الشعر لفظاً خاصاً يأبى غيره، لأنّ أصواته توحي إليه ما لا توحي أصوات غيره"(٤٧).

وهكذا تستمد العناصر قيمتها من تشكيلها الصوتي وترتيبها في نسق يفرض مخزونها الدلالي على وجه يحقق خصوصية التشكيل وفق ترتيب يجعلها تتوالى في النص استجابة لمعاني النفس. وهكذا تنتظم الألفاظ على وجه صوتي خاص يفرض مستوى جمالياً يحقق الإمكانات التعبيرية عبر انسجام يظهر انبجاس البنى من مجموع العلاقات التي ينتظمها فحوى دلالي يمنح النص ضرباً من التجانس الذي تأتلف فيه الأبنية إلى الكل. وبيان ذلك عن ابن الأثير أنَّ:"الذي يستلذه السمع منها ويميل إليه هو الحَسَن، والذي يكرهه وينفر عنه هو القبيح؛ فإنّه لا خلاف في أنَّ لفظة (المُزْنَة) و(الدِّيمة) حسنة يستلذها السمع، وأنَّ لفظة (البعاق) قبيحة يكرهها السمع، وهذه اللفظات الثلاث من صفة المطر، وهي تدل على معنى واحد، ومع هذا فإنك ترى لفظتي المزنة والديمة وما جرى مجراهما مألوفة الاستعمال، وترى لفظ البعاق وما جرى مجراه متروكاً لا يستعمل"(٤٨).

ومن الملاحظ أن تفسير علاقات البنى بحثا عن التتابع الصوتي الذي يكفل مظاهر التلازم يفصح عن النسق الدلالي الذي تبنى عليه المستويات الذهنية للكلمة، وهذا يظهر أنّ تشكيل علاقات البنى عبر المنجز اللغوي يفسر الانتظام البنائي المؤسس على قواعد الدلالة.

السادس: الدلالة وسياق الحال (المعنى الاجتماعي)

يمثل المعنى الاجتماعي مرجعاً من مراجع الإحاطة بظروف المتكلم والسامع إذ يتجه نحو اكتناه سياق الحال بحثاً عن تكامل منظومة العناصر التي أسهمت في تشكيل الإنجاز اللغوي. وينهض من قراءة المستوى الاجتماعي الذي تكشفه ملامح المتكلمين ووجوههم بما يظهر ما تستبطنه نفوسهم، وهكذا يتم استطلاع الموقف الكلامي بجمع ما يتصل بقرائن سياق الحال توخياً لمقاصد المقال، وهذا يشكل ضرباً من الاستئناس بجملة المعطيات التي يحتكم إليها النص في إبلاغ الرسالة، وبيّن تمام حسان المقام بقوله:"هذا هو المقصود بفكرة المقام. فهو يضم المتكلم والسامع أو السامعين والظروف والعلاقات الاجتماعية والأحداث الواردة في الماضي والحاضر ثم التراث والفلكلور والعادات والتقاليد والمعتقدات والخزعبلات" (٤٩). وهذا يبدي أنَّ رصد الملاحظ السياقية المحيطة بالحدث الكلامي من مقتضيات الإبانة عن العلاقات الدلالية التي يترتب عليها النص، ويقرر فيرث أنَّ:"الوصول إلى معنى أي نص لغوي يستلزم:

١. أنْ يحلل النص على المستويات اللغوية المختلفة (الصوتية والفونولوجية، والمورفولوجية، والنظمية، والمعجمية).
٢. أن يبيّن سياق الحال شخصية المتكلم، وشخصية السامع وجميع الظروف المحيطة بالكلام.
٣. أن يبيّن نوع الوظيفة الكلامية: تمنّ، إغراء.
٤. أن يذكر الأثر الذي يتركه الكلام (ضحك، تصديق، سخرية)"(٥٠).

ومن المقرر أنَّ تفسير الظاهرة اللغوية يستند إلى السياق الذي ترد فيه؛ إذ تكتسب الكلمات سماتها المميزة لها من خلال ائتلافها في نسق يعيّن الدور الوظيفي لكل منها، وقد بين تمام حسان أن الكلمة تشكل مكونا تركيبياً يحكمه النسق إذ تقام على اقتران يكشف مظاهر الاتساق في وضع الألفاظ موضعها اللائق بها. وهذا يظهر أثر المعاني النحوية في دراسة ائتلاف عناصر الظاهرة اللغوية بغية اكتناه مكوناتها. وهكذا اتخذ النحاة "الكلمة المفردة وحدة تحليلية للجملة فحملوها وظيفة الأبواب النحوية المفردة، لأسباب أهمها:

١. انها أصغر عنصر لغوي صالح للإفراد.
٢. وانها لا تدل على معنى مفرد.
٣. ان لها صيغة حرفية معينة.
٤. وانها لاتعد نواة للواصق والزوائد.
٥. وانها أصغر ما يصلح للتقديم والتأخير في السياق.
٦. وانها لا تتطلب غيرها ويتطلبها غيرها، كما تتنافى مع غيرها ويتنافى معها غيرها"(٥١).

ومن هنا يقصد بالسياق:"جوار الكلمات في التلاصق الركني الملفوظ للجمل، أي ما يسبقها ويلحقها من مفردات، وعادة، يعدّ العامل النحوي في تركيب الكلام مظهراً سياقياً ينطوي على مجموع العوامل والظروف الاجتماعية والثقافية التي تحيط بالمتكلم والسامع"(٥٢).

وهذا يبين أن العناصر اللغوية تمتلك قوى الإبلاغية من ذاتها المؤتلفة في سياق قدرة الدال على التعبير عن المدلول، وملحظ آخر يتمثل في اكتساب العناصر للإفصاح نتيجة ائتلافها في نسق. ويشكل هذان المستويان المتخيل الذهني المؤدي للإبانة عن قوى الإبلاغ المتصرفة في تحريك الكلمة

المؤثرة وظائفياً في المتلقي، ويؤلف العنصر الذي يأخذ موقعه الأليق منبها ومثيراً يؤصل لتشكيل الصورة المبصرة في حضورها في ذهن المتلقي، والملحظ الذي يقرره نهاد الموسى مفاده: "ان الناظر في اللغة على وجه التقعيد والوصف والتفسير ينتهي بالضرورة إلى اعتبار المتغيرات الخارجية التي تكتنف المادة اللغوية واستعمالاتها، ذلك انّه سيجد أنَّ المادة اللغوية، وإنْ أمْكنتْ من التحليل الذاتي بقدر، لا تهيئ للباحث تحليلاً ذاتياً مكتفياً كاملاً"(٥٣). وهكذا تشكل الإبلاغية اتحاد الأبنية في التعبير المشترك عن وظيفة جمع التباين المختلف في سياق التشاكل المؤتلف، ويقرر بشر بن المعتمر أهمية مطابقة الكلام لمقتضى الحال:"ينبغي للمتكلم أنْ يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً(٥٤)، ويقول بشر بن المعتمر في موضع آخر:"وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال"(٥٥). ومن المحقق أنَّ صحيفة بشر بن المعتمر تمثل المنهجية التي يصدر عنها فن التقعيد الذي يشهد بأهمية سياق الحال في الاتصال اللغوي.

وهكذا تعرض الجاحظ إلى "ضرورة موافقة الحال وما يجب لكل مقام، وتركيز الجاحظ على هذا النوع من المطابقة جعله يحس إحساساً شديدا بخضوع الكلام واللغة بصفة عامة إلى الحال التي يعيشها المتكلم والمخاطب، فهو يعلق مصير اللغة بالظروف التي تحيط بها"(٥٦).

ويراوح اللسانيون في فهم المعنى السياقي ضمن احتمالين إذ ينظر للمعنى السياقي على أنّه: "المعنى المرتبط بالسياق اللغوي أو اللفظي نفسه، أو الذي يتحدد وفقاً له، إلا أنَّ هذا المعنى قد يفهم منه أمران:

أولاً: انَّ معنى اللفظة يتعيّن وفقاً للسياق اللغوي الذي يرد فيه اللفظ، بحيث يكون معنى اللفظ جزءاً من معنى السياق الكلي.

ثانياً: "انَّ للسياق معنى يتحدد بناء على معاني الألفاظ التي ترد فيه والعلاقات تربط بينها في بناء واحد" (٥٧)، ومن هنا يلاحظ أنَّ التعالق البنائي يمثل قوة فاعلة تتصرف في توزيع الأبنية واستبدالها ضمن منوال الاستدلال طلباً للتشاكل النفسي والنصي، ومن المقرر أن إدراك علاقات العناصر الجزئية يأتي على المعنى الكلي لها جميعاً بما يحقق الصورة الكلية التي تعرض مخزونها الدلالي المحرك لتشكيلها على نسق دون آخر، إن تصريف وجوه القول يكون مؤسساً على ترابط يحفظ الحركة البنائية في تحولاتها المختلفة في مفارقة شروط البنية، ويختزن هذا النسق نقاط القوة السياقية التي تجعل الألفاظ تنضبط في تشكيلها على وجوه دون غيرها في بلوغ المقصد.

وهكذا تكشف الأنظار اللسانية الحديثة أنّه:"ينبغي علينا أن نقر بأنَّ التعابير لا معنى لها إلا في سياق، فلا ننظر إلى الشيء الذي يشير إليه التعبير بل إلى المناسبة التي تعطي استعمال التعبير معنى"(٥٨).

ومن هنا يتضح أنَّ إظهار المعنى الدلالي للكلمة يعتمد على السياق الاجتماعي الذي تدور فيه، وأن اكتناه المستوى الاجتماعي للغة يظهر القراءة الخاصة للكلمة، ويرى تمام حسان: "انَّ وجود العنصر الاجتماعي في اللغة ليدفعنا إلى الكلام عن معنى اجتماعي هو المعنى الذي يتوافر فيه الخصوص الذي افتقدناه في المعنى المعجمي العام"(٥٩).

وهذا يبدي الحرص على بيان المحيط الاجتماعي الذي تتداح فيه أبنية الكلم إذ يشكل المحور الذي تتلاقى عليه تجليات النص، فهو قاعدة التواصل الذي تحقق من خلاله مجموعة الأبنية انتظامها على وجه خاص دون آخر، فالدلالة رهينة الفضاء الذي تؤلفه العلاقات الداخلية بطريقة تفرض التناسق توخياً للمقصد المراد.

الكلمة والسياق

تكتسب الكلمات دلالات خاصة بها نتيجة تغير أنظمة العلاقات لإنجاز المستوى الدلالي مطابقاً للمقصد، وقد يقتضي البيان عن المقصد تبديل طريقة تراتيب الكلمات التي تبدو حتمية وتحويلها إلى رتبة تكفل التواصل والإفهام على غير الترتيب المعهود، وهكذا يؤدي الترتيب الوظيفة الدلالية التي تشكل لأجلها وفق ما تقتضيه علاقات الأبنية وما يتطلبه المحيط الخارجي. فتباين التراتيب مطلب لتباين المعاني، وقد أبان سوسير العلاقة بين تشكيل البنية ودلالتها؛ إذ يلاحظ أنّه:"يمكن تشبيه اللغة بورقة، يكون الفكر وجهها الأول والصوت وجهها الآخر، ولا نستطيع فصل أحد الوجهين من دون الآخر في آن، والأمر نفسه بالقياس إلى اللغة، إذ لا يمكن عزل الصوت عن الفكر، ولا الفكر عن الصوت"(٦٠).

ويلتقي هذا الملحظ ما يظهره عبد القاهر الجرجاني في توضيحه أنَّ أي تغير في طرق النظم يؤدي إلى تغير في مستويات المعنى: "فأمّا إذا تغير النظم فلا بد حينئذ من أن يتغير المعنى"(٦١).

وهذا يدل على أنَّ تأطير الصورة التي تتشاكل عليها أبنية الكلم يفضي إلى اكتناه التشكل الداخلي لعناصر اللغة، ويأتي نظام الاستبدال توخياً لغاية أساسية ناتجة عن تقليب وجوه

الأنظمة موافقة للمقصد المراد. وقرر الجرجاني أنَّ اللفظ المفرد لا يدرك وحده وإنمّا يدرك خلال سياق يسهم في إنتاج دلالته الكلية، وتوضيح ذلك عنده: "انَّ الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن ينضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها من فوائد، وهذا علم شريف"(٦٢). ومن هنا جاء اكتناه النظام اللغوي وفق السياق الذي تدور فيه الألفاظ لبيان أثر ذلك في تشكيل وظائف الدلالة ضمن الانساق التي تنتمي إليها، ويوافي هذا المنحى ما سبق إليه الجاحظ بقوله:"لكل مقام مقال ولكل صناعة شكل"(٦٣).

وقد أظهر ابن جني وظيفة سياق الحال في تشكيل مدلول الكلم بعبارة "رفع عقيرته" بمعنى رفع صوته إذ يقول:"قال له أبو بكر: فلو ذهبنا نشتق لقولهم (ع ق ر) من معنى الصوت لبعد الأمر جداً، وإنما هو أنَّ رجلاً قطعت إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم نادى وصرخ بأعلى صوته فقال الناس رفع عقيرته، أي رجله المعقورة"(٦٤). ويوافق ابن خلدون هذه الملاحظ في استشرافه الظروف الداعية لإنجاز البنى التركيبية على وجه خاص ينتظمه سياق الحال إذ بيّن أنَّ: "الأمور التي يقصد المتكلم بها إفادة السامع من كلامه هي إما تصور مفردات تسند ويسند إليها... ويبقى من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة أحوال المتخاطبين وما يقتضيه حال الفعل وهو محتاج إلى دلالة عليه، فإن كلام العرب واسع ولكل مقام عندهم مقال"(٦٥)، ويوافي هذا المنحى ما تظهره اللسانيات الحديثة إذ تجعل وكدها تبيان اثر السياق في تشكيل الدلالة مظهرة وجوها من الجوانب الاجتماعية التي تحتكم إليها الظاهرة اللغوية، ويتضح ذلك عند ستيفن أولمان الذي يكشف أثر السياق في البيان عن المعنى بقوله:"إنَّ كل كلماتنا تقريباً تحتاج على الأقل إلى بعض الإيضاح المستمد من السياق الحقيقي سواء أكان هذا السياق لفظياً أم غير لفظي، وربما كانت الحقائق الإضافية المستمدة من السياق مقصورة في بعض الأحيان على تحديد الصورة الأسلوبية للكلمة"(٦٦).

ويقرر الدلاليون أنَّ: "اللفظة بشكلها الأحادي المنفرد تنتظمها الدلالة المعجمية وانها لا تحمل إلا بعض أجزاء المعنى، أما دلالتها المكتملة وتباياناتها فإنّها تطفو على السطح من خلال انتظامها وتشكيلها داخل السياق اللغوي وسياق الحال"(٦٧). ومن الواضح أنَّ دلالة سياق الحال لا تكتفي بالمخزون الذهني الذي يسترجعه القارئ من خلال علاقة الدال وإشارته إلى طبقات تشكيل المدلول، وإنما يؤسس المدلول على تكامل سلوك العناصر اللغوية بما يحقق تفاعل الأبنية في تحقيق المنجز اللغوي.

ومن المقرر أنَّ "الكلمة ليست مجموعة صفات، فهي تعبير عن شيء أو كائن حيوي، وليست تعبيرا عن صفة من الصفات التي عزلت عن مواقف تجسيدها في الحياة"(٦٨).

وهذا يكشف أنَّ البؤرة الدلالية تشكل عنصراً جامعاً تتموضع حوله الأبنية ضمن دينامية خاصة تكفل تعيين المراد منه. وتتمظهر الأبنية بما يحقق شرط وجودها الحضوري عبر الأفق الدلالي الذي يكسب اللفظة حسنها البلاغي، فاختلاف نظام العلاقات ناتج عن مراعاة الظروف الداعية لإنجاز الكلام على وجه دون آخر توخياً لإصابة الغرض. وصفوة القول انَّ: "المعنى الحقيقي للكلمات لا يكون إلاّ من خلال السياق وكل ذلك تؤكده لنا الحقائق الآتية:

١. انَّ دلالة الكلمة هي جزء من تركيبها الصوتي وصيغتها ووظيفتها النحوية.
٢. ان المعنى المعجمي للكلمة عام ومتعدد ومحتمل.
٣. السياق أو المقام (السياق الاجتماعي) هو الذي يعطي المعنى النهائي للكلمة(٦٩).

وانطلاقاً من هذا الأساس تدرس الكلمة وفق سلوك لغوي يصل إلى تجلياتها الاجتماعية، ويعدّ الملحظ الاجتماعي مفتاحاً للتعرف على الدوائر البنائية المتصلة بالدائرة الكلية التي تتمظهر في تضاريسها الكلمة. ومن هنا يتضح أنَّ البيان عن النسق الذي ينبني عليه النص يجعلنا نفسر علاقة الإشارات بالمرجع الذي يحول المتخيل الذهني إلى إنجاز لغوي، وهكذا تستحضر الصورة الذهنية عبر المسمى المتصل بالمرتسم في تفكيرنا من وعي ثقافي يتجسد بتراسل الدال بمدلوله، وهذا يجعل المرجع الاجتماعي هو المركز القادر على إنتاج دوائر المعنى ضمن هيمنة الكل البنائي على وظائف إنتاج الدلالة، وترسم المنظومة اللغوية آفاقها المعرفية نتيجة تراسل ثقافي اجتماعي خاص يكون طبقاتها التأثيرية، وهكذا فإنَّ التأطير السياقي يمنح الألفاظ التباينات عبر مشهد التخطي للتداول المختلف على نسق مؤتلف.

الهوامـــش

(١) الشريف الجرجاني، التعريفات، ط١، ص ١٠٤.
(٢) أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص ٦٤، ترجمة كمال بشر، ط٣.
(٣) بارت، مبادئ في علم الأدلة، ص ٦٦، ترجمة محمد البكري.
(٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص ٧٦.
(٥) صمود، التفكير البلاغي عند العرب، ص ٢٠٠.
(٦) السكاكي، مفتاح العلوم، ص ١٦٢، ط١.
(٧) حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ١١٨.
(٨) السكاكي، مفتاح العلوم، ص ١٦١.
(٩) آن، اينو، مراهنات دراسة الدلالات اللغوية، ص ١٢.
(١٠) السكاكي، مفتاح العلوم، ص ٣٢٩.
(١١) القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص ٣٧.
(١٢) السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص ٢٦١.
(١٣) مجاهد، الدلالة اللغوية عند العرب، ص ١٧.
(١٤) حسان، مناهج البحث في اللغة، ص ٢٤٠، ط٢.
(١٥) ابن ذريل، اللغة والأسلوب، ص ١٤٠.
(١٦) المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص٥٢.
(١٧) أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، ص ٣٧ - ٣٨، ط١.
(١٨) عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص ١٩١-١٩٢، ط١.
(١٩) خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص ٤٦، ط١.
(٢٠) أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص ٩٢.
(٢١) راضي، نظرية اللغة في النقد العربي، ص ٨٤-٨٥.
(٢٢) جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ص ٨٩.
(٢٣) عبد البديع، التركيب اللغوي للأدب، ص ٨٩.
(٢٤) أبو علي، مفهوم المعنى بين الأدب والبلاغة، ص ٤٧.
(٢٥) عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ص ١٩، ط١.
(٢٦) حسان، المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة، ص ٢٧، مجلة فصول، العددان ٣، ٤.
(٢٧) العسكري، كتاب الصناعتين، ص ١٦، ط٢.
(٢٨) الجاحظ، الحيوان، ج٣، ص ١٣١-١٣٢.
(٢٩) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص ١٤٤.
(٣٠) بلمليح، الرؤية البيانية عند الجاحظ، ص ١٨٧-١٨٨، ط١.
(٣١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص ٢٥٠.
(٣٢) ابن جني، الخصائص، ج٣، ص ١٠٠، ط٤.
(٣٣) يوسف أبو العدوس، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، ص ٣٧، ط١.
(٣٤) الخطابي، بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، ص ٢٦.
(٣٥) إبراهيم، جماليات اللفظة بين السياق ونظرية النظم، ص ٣٨ - ٣٩، ط١.
(٣٦) الخطابي، بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، ص ٢٦.
(٣٧) الباقلاني، إعجاز القرآن، ص ٢٨٩.
(٣٨) الخفاجي، سر الفصاحة، ص ٦٤ - ٦٥، ط١١.
(٣٩) الجرجاني، أسرار البلاغة، ص ٣.
(٤٠) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٣٥٢- ٣٥٣.
(٤١) الفراهيدي، العين، مادة (صرّ)، ج١، ص ٨-٢٨.
(٤٢) سيبوبة، الكتاب، ج٤، ص ١٢-١٤، ط١.
(٤٣) ابن جني، الخصائص، ج٢، ص ١٦٤.
(٤٤) ابن جني، الخصائص، ج٢، ص ١٥٩.
(٤٥) ابن جني، الخصائص، ج٢، ص ١٦٥.
(٤٦) المبارك، استقبال النص عن العرب، ص ١٠٠، ط١.
(٤٧) أنيس، من أسرار اللغة، ص ١٣٤، ط٣.
(٤٨) ابن الأثير، المثل السائر، ج١، ص ٨١.
(٤٩) حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٣٥٢، ط٢.
(٥٠) السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص ٣١٢.
(٥١) حسان، الأصول (دراسة ابيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب)، ص ٣١٧.
(٥٢) ذريل، اللغة والدلالة آراء ونظريات، ص ١٦٠.
(٥٣) الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، ص٩٦، ط٢.
(٥٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص ١٣٨-١٣٩.
(٥٥) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص ١٣٦.
(٥٦) بناني، النظريات اللسانية والبلاغية عند العرب، ص ١٧٤، ط١.
(٥٧) إسلام، مفهوم المعنى دراسة تحليلية، ص ٦٥، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية السادسة، الرسالة الحادية والثلاثون.
(٥٨) بدوي، اللغة والمنطق في الدراسات الحالية، عالم الفكر، ص ٧٣، المجلد الثاني، العدد الأول، إبريل.
(٥٩) حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ١٢٣.
(٦٠) فردينان، دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص ١٣٨.
(٦١) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٢٠٥.
(٦٢) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٧٠.
(٦٣) الجاحظ،، الحيوان، ج٣، ص٨٦.
(٦٤) ابن جني، الخصائص، ج١، ص ٢٤٩.

(٦٥) ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٤٥ – ٤٤٦، ط١.
(٦٦) أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص ٥٥.
(٦٧) عبد الجليل، التنوعات اللغوية، ص ٢٠٨، ط١.
(٦٨) ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي، ص ١٧٨.
(٦٩) خليل، الكلمة، ص ١٦٣، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط٢، ١٩٩٣م

المصادر والمراجع

إبراهيم، علي، ٢٠٠٢، جماليات اللفظة بين السياق ونظرية النظم، دمشق، ط١.

ابن الأثير، المثل السائر ج١، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ١٩٩٠، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

إسلام، عزمي، ١٩٨٥، مفهوم المعنى دراسة تحليلية، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية السادسة، الرسالة الحادية والثلاثون.

أنيس، إبراهيم، ١٩٩٦، من أسرار اللغة، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية.

أولمان، ستيفن، ١٩٧٢، دور الكلمة في اللغة، مكتبة الشباب، القاهرة، ط٣.

اينو، آن، ١٩٨٠، مراهنات دراسة الدلالات اللغوية، دار السؤال، دمشق، ط١.

بارت، رولان، ١٩٨٧، مبادئ في علم الأدلة، ترجمة محمد البكري، دار الحوار، سورية، ط٢.

الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر.

بدوي، عبد الرحمن، ١٩٧١، اللغة والمنطق في الدراسات الحالية، عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد الأول، إبريل.

بلمليح، ادريس، ١٩٨٤، الرؤية البيانية عند الجاحظ، دار الثقافة، المغرب، ط١.

بناني، محمد الصغير، ١٩٨٦، النظريات اللسانية والبلاغية عند العرب، دار الحداثة، لبنان، ط١.

الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، ج٣، تحقيق عبد السلام هارون، ١٩٣٨، نشر مصطفى البابي الحلبي.

الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج١، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.

الجرجاني، الشريف (علي بن محمد)، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٨٣.

الجرجاني، عبد القاهر، ١٩٧٨، أسرار البلاغة، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، نشر محمد رشيد رضا، ١٩٨١، دار المعرفة، بيروت.

ابن جني، الخصائص، ج٢، تحقيق محمد علي النجار، ١٩٩٠، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٤.

جيرو، بيير، الأسلوب والأسلوبيّة، ترجمة منذر عياشي، نشر مركز الإنماء القومي، لبنان.

حسان، تمام، ١٩٨٨، الأصول (دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

حسان، تمام، ١٩٨٠، اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، الدار البيضاء (المغرب).

حسان، تمام، ١٩٧٩، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢.

حسان، تمام، ١٩٨٧، المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة، مجلة فصول، العددان ٣-٤، أبريل، سبتمبر.

حسان، تمام، ١٩٧٤، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط٢.

أبو حمدان، سمير، ١٩٩١، الإبلاغية في البلاغة العربية، بيروت، باريس، ط١.

الخطابي، بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق محمد خلف الله محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر.

الخطابي، محمد، ١٩٩١، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب) نشر المركز الثقافي، بيروت، ط١.

الخفاجي، ابن سنان، ١٩٨٢، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١.

ابن خلدون، المقدمة، دار صادر، ٢٠٠٠م، بيروت، ط١.

خليل، حلمي، ١٩٩٣م، الكلمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط٢.

ذريل، عدنان، ١٩٨٠، اللغة والأسلوب، نشر اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

ذريل، عدنان، ١٩٨١، اللغة والدلالة آراء ونظريات، نشر اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

راضي، عبد الحكيم، ١٩٨٠، نظرية اللغة في النقد العربي، نشر مكتبة الخانجي، مصر.

السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت.

السكاكي، أبو يعقوب، ١٩٨٣، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

سوسير، فردينان دي، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، ١٩٨٤، دار نعمان للثقافة، لبنان.

سيبويه، الكتاب، ١٩٩١م، ج٤، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١.
صمود، حمادي، ١٩٩٤، التفكير البلاغي عند العرب (أسسه وتطوره إلى القرن السادس) مشروع قراءة، نشر كلية الآداب، منوبة.
عبد البديع، لطفي، ١٩٧٠، التركيب اللغوي للأدب، مكتبة النهضة المصرية.
عبد الجليل، عبد القادر، ١٩٩٧م، التنوعات اللغوية، دار صفاء، الأردن، ط١.
عبد المطلب، محمد، ١٩٩٥، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، مكتبة لبنان، ط١.
عبد المطلب، محمد، ١٩٩٤، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان، ط١.
أبو العدوس، يوسف، ١٩٩٧م، الاستعارة في النقد العربي الحديث، المكتبة الأهلية، عمان، الأردن، ط١.
العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين، تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل، إبراهيم، ١٩١٧، دار الفكر العربي، ط٢، القاهرة.
أبو علي، محمد بركات، ١٩٨٨، مفهوم المعنى بين الأدب والبلاغة، دار البشير، عمان، الأردن.
الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، ج٧، تحقيق إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي، ١٤٠٥هـ، دار الهجرة، إيران.
القزويني، الخطيب، التلخيص في علوم البلاغة، دار الكتاب العربي، بيروت.
المبارك، محمد، ١٩٩٩م، استقبال النص عند العرب، دار الفارس، الأردن، ط١.
مجاهد، عبد الكريم، ١٩٨٥، الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء، الأردن، عمان.
المسدي، عبد السلام، ١٩٧٧م، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس.
الموسى، نهاد، ١٩٨٧م، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، دار البشير، عمان، الأردن، ط٢.
ناصف، مصطفى، نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس، بيروت.

The Theory of Lexical Semantic Formation in Light of Context, Stylistics and Rhetoric

Abdullah Anbar *

ABSTRACT

The present research is based on the idea that the relation between heritage – based thoughts and language shows a vital correspondence, contributing in understanding linguistically coded messages with their aesthetic as well as rhetorical values. This research also shows that stylistics – based interpretation depends on studying borderless horizons within the real world as well as the metaphysical world. It is proposed that studying the semantic structure is essential for understanding the elements forming the core meaning of any text. It follows that studying the forms that bear the meaning reveals the formation schema and its rhetorical changes that represent the meaning.

This current research also aims at showing the patterns of radical changes that affect the structure horizontally and vertically, showing the transformations that form the various semantic levels. Moreover, this research maintains that social meaning is heavily based on the circumstances surrounding the speaker as well as the listener since context is an essential element of meaning.

This research addresses six issues: semantics and stylistics, stylistics – based interpretation of the language system, the concept of semantics and rhetoric, the word in morphology, the word in phonology, and semantics and context.

* Faculty of Arts, University of Jordan. Received on 19/1/2003 and Accepted for Publication on 2/7/2003.